



الآثار النفسية والاجتماعية للإدمان التلفزيوني على الطفل

الدكتور/ سعد الدين بوطبال

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة خميس مليانة الجزائر





المستخلص:

لا يمكن لأي أحد أن ينكر الإيجابيات التي جلبها التلفزيون والقنوات الفضائية كوسيلة إعلامية وثقافية وترفيهية، إلا أنه بالمقابل ساهم في إحداث تغييرات جذرية على سلوكيات الأطفال، خاصة تلك التي لا تتوافق مع قيم المجتمع وعاداته وأخلاقه، أي سلوكيات منحرفة عن المعايير الاجتماعية السائدة، وبرزت مشكلات سلوكية متعددة ومعقدة.

لذلك وجب لفت الانتباه إلى طبيعة البرامج التلفزيونية وكذا دور الوالدين في تفعيل الرسالة الإعلامية الموجهة للأطفال من جهة، والمحافظة عليهم لأنهم هم عماد المجتمع من جهة ثانية. كلمات مفتاحية: التلفزيون، الإدمان التلفزيوني، الطفولة، الآثار النفسية والاجتماعية.

:Abstract

No one can deny the pros brought tv and satellite as a means of information, education and entertainment, but instead contributed to the radical changes on behaviors of children, especially those that do not comply with community values and habits and manners, any deviant behaviour standards. Prevailing social and behavioral problems are multiple and complex So it must draw attention to the nature of television programs, as well as the role of parents in child-oriented newsletter activation by hand and keep them .because they are the backbone of society

Keywords: television, television addiction, childhood, psychological and .social effects

مقدمة:

تحتل مرحلة الطفولة مكانة هامة في الحياة الاجتماعية باعتبارهم الأساس القويم الذي تبنى عليه القوة المحركة للتنمية الاجتماعية بمختلف أبعادها، لذلك توالى الاهتمامات بمختلف العناصر المشكّلة لسلوكيات الأطفال والمؤثرة فيها، بُغية فهم سلوك الأطفال الذين هم عماد المستقبل وتوجيههم توجيهًا سليمًا لتنمية ذواتهم وخدمة مصالح المجتمع الذي يعيشون فيه.

شهدت السنوات الأخيرة طفرة نوعية في تطور وسائل الاتصال التكنولوجية مثل التلفزيون والقنوات الفضائية التي أضحت تتنامى يوماً بعد يوم، حيث تمثل هذه الأخيرة وسيلة إعلامية تقدم رسائل متعددة تحوي مواد تحتاج في الكثير من الأحيان إلى تحليل وتمحيص، خاصة إذا ما علمنا أنّ جل أوقات الفراغ لدى الأطفال يتم قضاءها أمام التلفزيون، ولا يفارقونه لساعات عديدة يومياً وهو ما يطلق عليه بالإدمان التلفزيوني، إنّ احتلال التلفزيون لمكانة هامة في حياة الأطفال جعلته شريكاً في عملية تربية وتنشئة الطفل.

بالفعل، لقد فرضت وسائل الإعلام وجودها على الإنسان وحياته، بعد أن بلغت أوج قوتها وتطورها بفضل التقدم العلمي الكبير، والثورة التكنولوجية الهائلة التي شهدتها القرن العشرين، فلم يعد بمقدور الإنسان أن يتجاهل هذه الوسائل وهي تلاحقه في كل مكان بالكلمة والصورة والصوت، وأهم هذه الوسائل الإعلامية: التلفزيون (1).

لا يمكن في الحقيقة أن نغفل مزايا التلفزيون إن استعمل بطريقة سليمة تساهم في بناء شخصية الطفل المتوازنة من خلال البرامج التربوية والترفيهية الجادة، ذلك أنّ التعلم بالصورة والصوت يكون ذا نفع كبير، لأنه ببساطة كلما اجتمعت الحواس زاد التركيز، وهذا الأخير يساهم بشكل كبير في حدوث التعلم، فالتلفزيون يمثل جهازاً يفتح آفاقاً واسعة تساهم في تدعيم أطفالنا بالمعارف والأخلاق، وإشباع حاجاتهم وتهينتهم للمدرسة وللحياة بصفة عامة، كما يمكنه تزويد الأطفال بالقيم الاجتماعية الإيجابية وتعزيز شعور الانتماء الوطني والقومي، وتنمية ثروتهم اللغوية وإكسابهم السلوك المرغوب فيه اجتماعياً.

وأكدت دراسة بييري (Berry) على أهمية التلفزيون بوصفه وسيلة إعلامية للتدريس والتعلم في مراحل النمو المختلفة للطفل وذلك على عينة مكونة من 125 طفلاً وطفلة بأريزونا،

واكتشفت الدراسة كيف أن نظريات التعلم الاجتماعية والبرامج غير الثقافية التي يعرضها التلفزيون، يمكن أن تؤثر على تعدد الاتجاهات الثقافية والقيم والمعتقدات الخاصة بالطفل⁽²⁾.
ومنه نجد أن المشكل لا يطرح في التلفزيون كجهاز، وإنما في البرامج التي تبث من خلال القنوات التلفزيونية المتعددة. ولإشارة فقد ظهرت في السنوات الأخيرة طفرة في عدد القنوات التلفزيونية ذات مشارب وأهداف متباينة، لا تتفق بالضرورة مع قيم مجتمعنا، فأصبح الطفل عندنا يخضع لسيل من البرامج منها ما هو مفيد ومنها ما هو غير ذلك، وهنا لا بد أن تتدخل الأسرة وخاصة الرقابة الوالدية التي توجه الطفل لاختيار مشاهدة البرامج المفيدة، وتفادي تلك التي لا تفيده.

وهذا ما جعل بعض الباحثين يرون أن مشاهدة التلفزيون أمر لا مشكلة فيه إذا تم التحكم في مشاهدة البرامج المناسبة والجيدة، ويرى بعض المدرسين والآباء أن التلفزيون أداة فعالة ونافعة في بناء القيم، وخلق جو من التضامن والتفاهم في العلاقات الأسرية، إذ لولاه لما اجتمع أفراد الأسرة الواحدة في أوقات عرض بعض البرامج، كما أنه يساعد على تنمية قدرات التلاميذ بالنسبة لتقويم البرامج واختيارها⁽³⁾.

وبالمقابل نجد فريقا من الباحثين يبدون خوفا وقلقا كبيرا من التلفزيون، باعتباره يساهم في تزيف الواقع والدخول في متاهات عالم خيالي، وإكساب الناشئة سلوكيات منحرفة؛ كالعنف على سبيل المثال، يقلل من التفاعل الاجتماعي بصفة عامة... إلخ. وهذا ما أدى إلى بروز دراسات تستقصي الآثار السلبية للتلفزيون بغية تحديد كيفية التعامل الآمن معه حفاظا على الطفولة التي هي عدة المستقبل. ومما زاد في تدعيم هذه النظرة تزايد طول الفترة التي يقضيها الطفل في مشاهدة البرامج التلفزيونية الموجهة للأطفال وحتى للراشدين، حتى أصبح التلفزيون مصدرا لإدمان نفسي لدى الأطفال، خاصة في ظل ضعف المراقبة الوالدية، وتعرضهم لمسلسلات ورسوم متحركة وأفلام تحمل في ثناياها قيم وعادات وسلوكيات غريبة عنا، وعليه يمكننا أن نتساءل عن الآثار التي يخلفها الإدمان التلفزيوني على الطفل خاصة من الناحية النفسية والاجتماعية. لذلك تقوم الدراسة النظرية الراهنة على استقصاء الآثار النفسية والاجتماعية السلبية للتلفزيون على الطفل من مختلف الجوانب الحياتية، وتكمن أهمية هذا المنحى كونه يهتم بشريحة أساسية في المجتمع ألا وهي الطفولة ومحاولة وضع إستراتيجية فاعلة للاستفادة القصوى من مزايا التلفزيون والعمل على تفادي سلبياته لبناء الشخصية المتزنة القادرة على تحقيق التنمية الشاملة بمختلف أبعادها التي ينشدها مجتمعنا.

أولاً: الطفولة

1- مفهوم الطفولة:

مرحلة الطفولة هي مرحلة أساسية وهامة من مراحل النمو، وهي المرحلة الأولى من مراحل تكوين ونمو الشخصية وتبدأ من الميلاد حتى بداية طور البلوغ⁽⁴⁾. تعتبر الطفولة مرحلة هامة في حياة الإنسان، فهي الفترة ما بين نهاية الرضاعة وسن البلوغ، وتنقسم عادة إلى ثلاث مراحل حسب و هي:

- الطفولة المبكرة أو الأولى: تمتد من نهاية السنة الثانية إلى نهاية السادسة.
- الطفولة الوسطى: وهي الفترة التي تمتد من السادسة إلى العاشرة.
- الطفولة المتأخرة: تمتد من السنة العاشرة إلى الثانية عشرة، وهي مرحلة البلوغ أو ما قبل المراهقة.

وقد نجد بأن الطفولة تنقسم إلى مرحلتين، الأولى الطفولة المبكرة وتمتد من عامين إلى ست سنوات، أما المرحلة الثانية فتسمى بالطفولة المتأخرة وتمتد من السنة السادسة إلى غاية السنة الثانية عشرة⁽⁵⁾. ومرحلة الطفولة تُعبر عن الفترة من الميلاد إلى وحتى البلوغ، وتستخدم أحيانا لتشير إلى الفترة الزمنية المتوسطة بين مرحلة المهد والبلوغ⁽⁶⁾.

ورعاية الطفل يجب أن تكون متكاملة مادية ومعنوية نلخصها في العناصر الآتية:

- الرعاية الجسمية والصحية والفيزيقية.
- الرعاية النفسية والدينية والتربوية والخلقية.
- الرعاية العقلية والفكرية والعقائدية.
- الرعاية الاجتماعية.

وذلك بغية تنمية أسس الشخصية المتكاملة في الطفل التي تساعده على النمو السليم في جميع المجالات وإشباع حاجاته وتطوير قدراته ومهاراته بالشكل المناسب.

2- حقوق الطفل:

تهتم العلوم الاجتماعية كثيرا بحقوق الطفل وحماتها قصد تنشئته تنشئة متكاملة. وفي هذا الإطار ظهر سنة 1959م إعلان حقوق الطفل، وتضمن عشرة مبادئ أهمها:

حق التسمية، والأمن الاجتماعي، والرعاية والعلاج، ومسئولية الوالدين، وحق التعليم الإيجابي، وحق اللعب والرياضة، والوقاية من الأمراض، والوقاية من القسوة، والوقاية من الفساد، وخصصت لها هيئة خاصة هي "اليونيسيف".

والجدير ذكره أنّ الشريعة الإسلامية السمحة أهتمت بحقوق الطفولة اهتماماً بالغاً وهو ما يترجمه حقوق الطفل في الإسلام ومن أهمها: حق الطفل في الحياة والأمان والعيش في المنبت السليم، وكل ما يضمن هذه المتطلبات. وهنا نستشف أنّ كل الأمم والثقافات اهتمت بصفة بالغة بحقوق الطفل من جميع الجوانب، لأن الاهتمام بالطفل ورعايته رعاية متكاملة يساهم في التنمية الاجتماعية للمجتمع بصفة عامة، والاهتمام بطفل اليوم يعني الإعداد السليم والآمن لرجل الغد.

ومنه تبرز أهمية رعاية الطفولة في جميع مجالات النمو العقلية والمعرفية، الانفعالية والاجتماعية وحتى الجسمية،... الخ. ثم إن نمو الشخصية وتكوينها في مرحلة الطفولة يلعب دوراً حيوياً في حل المشكلات الاجتماعية⁽⁷⁾.

والجدير ذكره هنا أنّ الطفل يتلقى رسائل الإعلام المرئي (التلفزيوني) بغفوية وبساطة، ويتفاعل معها بمنطقه الخاص الذي يختلف حتماً عن الراشد، وهو بذلك أكثر استجابة لرسائله، وتأثراً بها، فيكتسب التلفزيون بذلك دوراً مهماً في تربية الطفل حتى أصبح يأتي مباشرة بعد الأسرة والمدرسة فيما يخص وظيفتهما التربوية واكتساب السلوكيات الاجتماعية بصفة عامة.

ثانياً: التلفزيون والإدمان عليه

1- ماهية التلفزيون: يعتبر التلفزيون وسيلة إعلامية تستقبل البث من إحدى محطات البث الأرضي أو الفضائي، وتعمل على نقل كم هائل من الرسائل والمعلومات إلى جمهور واسع من مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية. كما يجدر بنا أن نذكر في هذا الإطار أنّ استخدام التلفزيون يتضمن تشغيل الاسطوانات المدمجة بمختلف أنواعها، كما هو الحال في الألعاب الالكترونية التي يفضلها كثير من الأطفال، إضافة إلى ما سبق أصبح من المتاح في السنوات الأخيرة مشاهدة القنوات التلفزيونية مباشرة عن طريق شبكة الانترنت.

2- خصائص التلفزيون:

يمكن تحديد الخصائص المميزة للأجهزة المرئية باعتبارها وسيلة لعرض برامج القنوات الفضائية في النقاط التالية⁽⁸⁾:

- إنّ جهاز التلفزيون يجمع بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية مما يزيد من قوة تأثيره .

- إنّ الجهاز المرئي يتميز بقدرته على جذب المشاهد وخاصة صغار السن وتحقيق

درجة عالية من المشاركة من خلال ما يقدمه من مواد تعليمية وترفيهية إضافة إلى الدور التربوي الذي يقوم به.

- يتعامل مع المشاهد مباشرة، فالمرسل في هذه الوسيلة يخاطب المستقبل وجهاً لوجه⁽⁹⁾.

- إمكانية نقل الأحداث الاجتماعية على الهواء ساعة وقوعها ونقل الكثير من الجوانب الثقافية والمعنوية والمادية للمشاهد ونقل خبرات الأشخاص ذوي المواهب والتخصصات النادرة، وبإلقاء المحاضرات وعرض البرامج والندوات والأفلام العلمية عن عالم الحيوان أو حياة الشعوب وأساليب حياتها⁽¹⁰⁾.

- يتميز الجهاز المرئي بقدرته الخارقة على الاستقطاب وخداع الصورة. بالفعل، نعيش في العصر الحالي ثقافة الصورة حيث أصبحت تحتل مكانة هامة في تفاعلاتنا وتواصلنا بصفة عامة، يمكن تحديد التأثيرات للإعلام بالصورة على السلوك البشري من خلال ما يأتي⁽¹¹⁾:

- المؤلفات: حيث يسهم الإعلام المرئي في احتواء الفرد داخل إطار اجتماعي محدد، ويفرض عليه بمرور الوقت الاستجابة لمتطلباته.

- السيطرة الاجتماعية: ويلعب الإعلام بطريقة ما في إعادة إنتاج للنظام الاجتماعي القائم، عن طريق إثارة احتجاجات مستمرة تجاه النظر للأشياء كما هي، وينسحب ذلك على السلوك القانوني، والنظرة السياسية.

- إعداد الأجندة: وهو هدف غير مباشر، مبني على فكرة أنّ الإعلام عموماً والمرئي منه خصوصاً يحدد النظرات حيال الحوادث والموضوعات التي تستحق الاهتمام.

- المخاوف الأخلاقية: وهي تأثيرات نابعة من كون الإعلام ممثلاً لجماعة فرعية أو ثقافة فرعية بوصفها خطرة أو شاذة.

- التبدل السلوكي وتغيير الاتجاهات: ويحدث هذا التبدل كنتيجة مباشرة للتعبيئة الفاضحة أو كنتيجة للتناوب الناجح بطريقة تدفع الناس للتفكير في موضوعات محددة لتهيئتهم للتصرف بحسب أفكارهم ونظراتهم الجديدة.

والحقيقة أنّ للتلفزيون برامج متنوعة موجهة للطفل قد تكون ذات أهداف تربوية واضحة ومحددة، أو تكون ترفيهية لا هدف تربوي أو تعليمي واضح لها مثل: بعض قصص الرسوم المتحركة، الأفلام والمسلسلات، ... الخ.

بالفعل، يمكن للتلفزيون من خلال برامجه الجادة أن تكون له آثار إيجابية عديدة على

الطفل مثل:

- إثراء الحصيلة اللغوية واكتساب النطق السليم للمفردات والعبارات.
- اكتساب معارف جديدة توافق المستوى المعرفي للطفل بطريقة سلسة ومبسطة،
وحتى بالصوت والصورة بشكل جذاب ويلفت الانتباه، وبالتالي ترسخ في ذهنه وتنمو مدركاته
ومعارفه وتفكيره.

- اكتساب بعض الأنماط السلوكية المرغوبة اجتماعيا وتربويا.
- اكتساب القيم والعادات والمعايير الاجتماعية.
- يمكن للتلفزيون أن يتضمن برامج تعليمية.
- يمكن للتلفزيون أن يكون أفضل وسيلة ترفيه وترويح عن النفس بعيدا عن الشارع
وتأثيراته السلبية... الخ.

3- الإدمان التلفزيوني:

مع كل هذه المنافع التي يمكن للتلفزيون أن يساهم في نشرها إلا أنّ آثاره السلبية
أصبحت واضحة للعيان، واستقطبت العديد من الباحثين خاصة في العلوم الاجتماعية، وهذا ما
سيتم التركيز عليه من خلال هذا البحث، إذ أكد بعض الباحثين بأنّ التلفزيون يعتبر من أخطر
الوسائل الإعلامية الأخرى حتى لقب بالوالد الثالث بعد الأب والأم لأنه يساهم في تشكيل ثقافة
وشخصية الطفل، والتلفزيون هو العامل الرئيس المنافس لدور الأهل والمدرسة في هذا
المجال⁽¹²⁾

" إن التجربة التلفزيونية من دون أن تختلف عن المخدرات أو الكحول تتيح للمشاركة
محو العالم الحقيقي والدخول في حالة عقلية سارة وسلبية. فنسوف القلق والهموم الواقعية
تؤجل فعليا عن طريق الاستغراق في برنامج تلفيزوني مثل ما يحدث عبر القيام « برحلة » تحت
تأثير المخدرات أو الكحول ".⁽¹³⁾

" ويلاحظ أحد الذين يشاهدون التلفيزيون بغزارة «إنني أشعر بأنّ التلفيزيون لا يقاوم
تقريبا، فأنا لا أستطيع تجاهل الجهاز يكون مفتوحا، لا أستطيع إغلاقه، أشعر بأنّ حيويتي
مستنزفة وأنني واهن بلا إرادة، وحتى أتحرّك لإغلاق الجهاز تخور قواي وهكذا أجلس أمام
التلفيزيون ساعات وساعات....، وإلى حد ما فإنّ حياة الذين يشاهدون التلفيزيون بكثرة هي
حياة غير متوازنة بسبب « عاداتهم » التلفيزيونية، كحياة مدمن المخدرات أو الكحول، فهم غير

أبهين بالأنشطة المؤدية إلى النماء أو التطور أو الإحساس بالإنجاز. وذلك هو أحد الأسباب التي تجعل الناس يتحدثون عن مشاهداتهم التليفزيونية بحزن وأسف عميق إذ يدركون أنها تجربة لا طائل من ورائها وأن أي جهد آخر تقريباً أجدر بالاهتمام وفق أي معيار إنساني". (14).

" أصدرت جمعية طب الأطفال الأمريكية (15) سنة 1999 بيانات صارمة تؤكد على عدم السماح للأطفال الأصغر من عامين بمشاهدة التلفزيون على الإطلاق، وعلى منع وجود التلفزيون في غرف الأطفال، وألا تطول مشاهدة الأطفال الأكبر من عامين للتلفزيون عن ساعتين في اليوم شريطة أن تكون البرامج المشاهدة مناسبة لهم، أي تخدم تنمية عقولهم ومواهبهم. مع العلم أن هناك العديد من الدراسات العلمية الحديثة توصلت إلى أن الحد الأقصى للفترات المناسبة لمشاهدة التلفزيون يومياً بالنسبة لأعمار الأطفال كالتالي:

من سن 2 - 5	من 20 - 30 دقيقة
من سن 6 - 9	60 دقيقة
من سن 10 - 13	90 دقيقة

مع التنبيه إلى أن تجاوز هذه الفترات يتسبب في عدم توازن مشاعر الأطفال، وانخفاض مستواهم العلمي، وعجزهم عن إقامة علاقات إنسانية مع زملائهم، خصوصاً أن الأطفال الذين تتجاوز مدة مشاهدتهم للتلفزيون مدة ثلاث ساعات، يعتادون رؤية برامج منخفضة المستوى، لا تتناسب مع أعمارهم. خلافاً للأطفال الذين بلغوا السادسة من العمر، والذين لا تتجاوز مشاهدتهم للتلفزيون فترة السنتين دقيقة، حيث يحرصون على مشاهدة برامج مفيدة، مثل أفلام عن عالم الحيوان، للاستفادة بهذا الوقت بأفضل طريقة". (16)

وتشير دراسة أعدتها مجموعة من علماء النفس في جامعة "فرايبورج" الألمانية إلى أن الأطفال الذين يكثرون مشاهدة التلفزيون يعانون قلة الحركة، والرغبة في الانعزال عن البقية، ويصابون بالاكتئاب، ولا يقلل هذا الاكتئاب سوى التلفزيون، فإذا بهم يدمنون «التلفزيون»، ويرون في المدرسة والأصدقاء والأهل «عناصر أقل تشويقاً من التلفزيون» إضافة إلى أن كثرة مشاهدتهم لمواقف العنف

في الأفلام تجعل مشاعرهم تتبدل، ولا يتأثرون مثل نظرائهم بمواقف الحياة اليومية (17).

وعليه؛ فالإدمان التلفزيوني لدى الطفل يعني المبالغة في فترة مشاهدة البرامج

التلفزيونية المختلفة وعدم الانشغال بغيره، ومن أهم أعراضه يمكن أن نجد:

- زيادة عدد ساعات مشاهدة البرامج التلفزيونية بشكل يومي .
- التوتر والقلق والغضب والاكتئاب في حال عدم مشاهدة التلفزيون.
- إهمال الواجبات المدرسية والنشاطات الاجتماعية والأسرية.
- حديث الطفل كله مستلهم من البرامج التلفزيونية.
- النوم في وضعية مشاهدة للتلفزيون في بعض الأحيان ومقاومة الناس لأجل الاستمرار في المشاهدة.

ومنه، فالإدمان التلفزيوني يظهر على شكل جملة من أعراض الاعتماد النفسي المستمر على التعامل مع التلفزيون لفترات طويلة، بغرض الدخول في حالة الإحساس بالمتعة، مع بروز بعض سلوكيات الانسحاب الاجتماعي والشعور بالقلق والاكتئاب... الخ في حالة عدم المشاهدة، أما الإدمان التلفزيوني فيمكن تقديره بمشاهدة البرامج التلفزيونية لأكثر من 4 ساعات يوميا.

ثالثاً: الآثار النفسية للإدمان التلفزيوني على الطفل

لا يمكن لأي أحد أن ينكر الإيجابيات التي جلبها التلفزيون والقنوات الفضائية كوسيلة إعلامية وثقافية وترفيهية وحتى تعليمية، إلا أنّ سلبياته أصبحت واضحة وبارزة في دراسات عديدة، ففي الجانب الصحي نجد الأضرار التي يمكن أن تصيب العينين نتيجة للإشعاع الذي تبثه شاشات التلفزيون، زيادة على اعوجاج العمود الفقري نتيجة نوع الجلسة والمدة الزمنية لها، إضافة البدانة وما تسببه من أمراض مرافقة نتيجة التقليل من الحركة، ... الخ.

إنّ الآثار السلبية للإدمان على التلفزيون تكون بشكل بارز في الجانب النفسي، حيث تكون آثارها وخيمة على الطفل وعلى المجتمع على حد سواء، وفيما سيأتي سنبرز هذه الآثار بشيء من التوضيح:

- 1- عرقلة تنمية الاستعداد للتعلم لدى الطفل: من المتعارف عليه أنّ تعلم الطفل في مرحلة الطفولة يكون عن طريق اللعب خاصة مع الأقران، وباعتبار أنّ مشاهدة التلفزيون تبقي الطفل جاثماً أمامه فهي بذلك تصرفه عن اللعب، ومنه عن اكتساب بعض مهارات التواصل والحركة وإدراك معاني الفرد والجماعة.

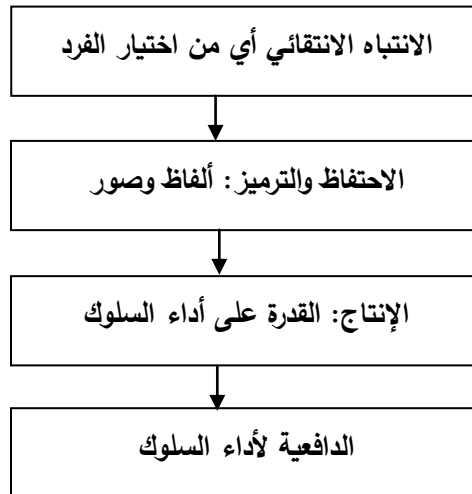


واللعب لدى الطفل له فوائد جمّة، فهو يساعد الطفل على تصريف طاقته النفسية الانفعالية والعضوية، تنمية المهارات المعرفية والجسدية، تنمية الثقة بالنفس، النضج العصبي والنمو المعرفي، يخفف من الصراع والتوتر والإحباط لدى الطفل،... ألخ.

2- اكتساب سلوكيات عنيفة:

لا شك أنّ الطفل يتعرض لفيض من السلوكيات العنيفة في مختلف البرامج التلفزيونية، حيث يركز على ملاحظة النماذج السلوكية العنيفة ونمذجتها في تصوراتها، ثم إعادة إنتاجها في المواقف المشابهة لها في الحياة الاجتماعية، وهذا ما نراه جلياً في تجسيد الأطفال لحركات وسلوكيات عنيفة متشابهة كان برنامج تلفزيوني مصدراً لها، وهذا ما أثبتته " باندورا " في نظريته حول التعلم الاجتماعي أو التعلم بالملاحظة والإقتداء (النمذجة) وهو اتجاه يجمع بين المدرسة السلوكية والمعرفية؛ حيث أنّ السلوك الاجتماعي يتم اكتسابه من خلال ملاحظة الآخرين وهم يظهرون استجابات مختلفة قد تكون مقبولة اجتماعياً أو غير مقبولة اجتماعياً. كما أنّها تعول كثيراً على المشاهدة أو الملاحظة على أساس أنّ الكثير من أنماط السلوك الاجتماعي ناتجة عن التعلم، وبمجرد مشاهدة النموذج "Model" وهو يصدر استجابات مختلفة قد يعيد الفرد تلك الاستجابات بعد مدة من الزمن أو أنه يتأثر بها، ومن ثم يصدر سلوكاً على غرار تلك الاستجابات التي تعرض لها⁽¹⁸⁾.

حيث تكون سيرورة تعلم السلوك العنيف وفق ما يوضحه المخطط الآتي:



من المخطط السابق يتبين لنا أنّ الطفل في البداية يقوم بالانتباه إلى السلوك العنيف والتركيز عليه، ثم يقوم بالاحتفاظ بتفاصيله في ذاكرته سواء كانت ألفاظاً أو تصرفات،

وبعدها تأتي القدرة على تجسيد السلوك، حينها يمكننا أن نقول بأنه حدث اكتساب السلوك العنيف، أما المرحلة الرابعة فتعني أساسا بدافع تجسيد السلوك والذي يكون غالبا في المواقف المشابهة أو الرغبة في إلحاق الأذى بالآخرين.

وقد قدم " باندورا" (Bandura) نظرية للسلوك الإنساني، وهي نظرية التعليم الاجتماعي حيث أوضح بأن عملية المحاكاة تلعب دورا هاما في اكتساب الطفل لعدد كبير من السلوكيات الاجتماعية؛ مثل معايير تقييم الذات، ومساعدة الآخرين والعدوانية وغيرها من أنماط السلوك، وترجع أهمية هذه النظرية إلى أنها ترتبط بوسائل الإعلام، وبشكل خاص التلفزيون وذلك لأن كثيرا من أنواع السلوك الذي يتعلمه الطفل يتم ملاحظته في وسائل الاتصال، ويلعب التلفزيون وما يبثه من مواد وفقرات وإعلانات دورا كبيرا في نظرية التعليم الاجتماعي⁽¹⁹⁾.

وفي دراسة "ديبورا" (Deborah) العادات المكتسبة من خلال وسائل الإعلام المختلفة تبين أن أطفال ما قبل المدرسة الابتدائية (225 طفلا بتايوان) يبدون اتجاهها عدائيا ضد بعضهم البعض عند مقارنتهم بأطفال لم يشاهدوا أفلاما تحوي مشاهد عنف، كما وجدت علاقة إيجابية بين نسبة العنف وعدد ساعات مشاهدة أفلام العنف⁽²⁰⁾.

وهذا ما أكده " نورمان سارتوريس " أن التقدم التكنولوجي وثورة الاتصالات التي يشهدها العالم حاليا ستكون وبالآ على الإنسانية إذا أسيء استخدامها، لدورها في انتشار الجريمة والعنف والفوضى⁽²¹⁾. لقد وُجد في العديد من الدول الصناعية المتقدمة ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا بأن نسب السلوك الإجرامي والسلوك المنحرف عالية، وأن ذلك يعود إلى وسائل الإعلام كالتلفزيون⁽²²⁾.

وهدفت دراسة "جريمز" وآخرين (Grimes & Others) إلى بحث تأثير مشاهدة الأطفال (327 طفلا وطفلة بأيرلندا) لبرامج العنف التلفزيونية على تفاقم الأمراض النفسية لديهم، لما لهذه البرامج من تأثيرات سلبية حيث تعمل على تغيير معدلات ضربات القلب وغيرها من الأعراض التي تؤدي إلى العديد من الأمراض النفسية، وأكدت نتائج الدراسة على أن عدم التعرض لمثل هذه البرامج يؤدي إلى تقليل الأعراض المرتبطة بالأمراض النفسية⁽²³⁾. إن تفكير الطفل البسيط يجعله يعاني الأمرين عند مشاهدته لبرامج عنيفة فيها من

القتل والتعذيب وإراقة الدماء ، فالطفل يعتقد أنّ تلك المشاهد حقيقية، وهو ما يسبب له ألماً نفسياً يؤثر سلباً على نموه العقلي والعاطفي.

3- الإحباط والعيش في عالم خيالي ووهمي: تستند مختلف البرامج التلفزيونية عادة على التفكير الخيالي والوهمي من خلال القصص والأشكال والصور، بعض البرامج الأجنبية التي لا تتناسب مع قيم المجتمع المحلي... ألخ، مما يجعل الطفل يغوص في عالم الخيال والانبهار به، وما إن يلتفت إلى الواقع العملي الذي يعيش فيه حتى يكتشف الاختلاف الكبير فيشعر بالإحباط.

4- الاكتئاب والقلق والشعور بالوحدة النفسية: حسب بعض الباحثين فإن التلفزيون يؤثر في نوايا الطفل وسلوكه واتجاهاته النفسية، فقد يؤدي تعرضهم إلى أن يعانون من حالة مزاجية سيئة من التشاؤم⁽²⁴⁾

حيث تؤثر المشاعر السلبية في مجمل التفاعلات الاجتماعية للطفل.

5- الشخصية المضادة للمجتمع: يمكن للتلفزيون أن يدعم سلوكيات الشخصية المضادة للمجتمع من خلال تجسيد السلوكيات العنيفة والانحرافية والتخريبية، حيث كلما ترسخت هذه السلوكيات في شخصية الطفل كلما كان تجسيده لها ممكناً، ويظهر هذا جلياً خاصة مع جنوح الأحداث.

6- التعرض للأرق: ويكون في الغالب بسبب مشاهدة برامج فيها الكثير من مشاهد العنف والمشاهد الخيالية مما يجعل الطفل عرضة لتقطع فترة النوم ليلاً والمعاناة من الكوابيس.

رابعاً: الآثار الاجتماعية للإدمان التلفزيوني على الطفل

1- إضعاف التواصل الأسري:

يحتاج الطفل إلى التفاعل مع محيطه الأسري مباشرة من خلال الحوار والمحادثة واللعب، ... ألخ. ولهذه العملية فائدة كبيرة، إذ تساهم في نقل المعارف والخبرات والعادات والقيم من الوالدين إلى الأطفال، لكن إدمان الطفل على مشاهدة التلفزيون يجعله منعزلاً عن أفراد أسرته، تائهاً في عالم افتراضي خيالي. وهذا ما بينته دراسة " البكري " حيث أكدت أنّ استخدام المحطات الفضائية قد أحدث تأثيرات في تغير بعض العلاقات الاجتماعية، ويتوقع أن يؤدي إلى خلق الاضطراب الاجتماعي وعدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية التقليدية⁽²⁵⁾. وهذا يعني أنّ الإدمان التلفزيوني يقلل كثيراً من التواصل والحوار الأسري، والذي يعتبر الأساس الذي يبني عليه الحوار الفاعل مع الآخر بصفة عامة زيادة على دوره في إكساب الأطفال

التجارب والخبرات الاجتماعية المفيدة، وحل مختلف المشكلات التي تعترض الطفل في جميع مجالات حياته.

2- عزلة اجتماعية :

يساهم التلفزيون في استقطاب الطفل من خلال البرامج المتنوعة فيمضي الطفل معظم وقت فراغه في مشاهدتها، وهذا ما يجعله يُعرض عن الاحتكاك بأقرانه وممارسة بعض النشاطات المفيدة كالرياضة والمطالعة، بصفة عامة تؤدي هذه الوضعية إلى انسحاب الطفل من التفاعلات الاجتماعية فيعيش في عزلة اجتماعية، وهذا ما سينعكس سلبا على نفسية الطفل وانفعالاته واندماجه في الحياة الاجتماعية التفاعلية.

3- إضعاف القيم الاجتماعية:

من المؤكد أنّ الطفل يتعرض لسيل من البرامج التلفزيونية التي لا تتوافق حتما مع القيم المحلية لبيئته ، ومنه قد يتعرض لمسح تلك القيم واكتساب قيم جديدة، وهذا ما بينه الباحث " صالح بن مبارك" حيث أشار إلى أنّ تأثير البث الفضائي النفسي القوي على الأفراد ونشره للإباحة وإفضائه إلى تدمير القيم العقائدية بما يبثه من برامج منافية للدين الإسلامي⁽²⁶⁾.

4- الانحراف الاجتماعي: الحقيقة أنّ الطفل يشاهد جميع البرامج دون مراقبة أسرية ويحدث أن يشاهد برامج فيها الكثير من مظاهر الانحرافات الخلقية والسلوكية كالتدخين والسرقة والأفعال المخلة بالآداب، وهذا ما يجعله يكتسبها ويجسدها في حياته الاجتماعية.

5- ضرورة ترشيد استخدام التلفزيون

الحقيقة أنّ المشكلة تكمن في البرامج التلفزيونية وليس في التلفزيون كجهاز، لذا ينبغي التفكير بجديّة في كيفية ترشيد استخدام التلفزيون وفق ثنائية لا مناص منها، وهي: البرامج التلفزيونية والأسرة، في هذا المنحى يمكن أن بين الآليات الآتية للاستخدام الفاعل والآمن للتلفزيون من طرف الطفل:

- عدم السماح للأطفال بمشاهدة التلفزيون وحدهم وبحرية مطلقة، ذلك أنهم سوف يشاهدون برامج ليست مخصصة لهم فتؤثر عليهم سلبا، وهنا للأسرة دور هام في مراقبة زمن المشاهدة الذي لا ينبغي أن يتجاوز ما ذكرناه سابقا، بالإضافة إلى نوعية البرامج التي يجب أن تلبي حاجات الطفل التربوية والترفيهية.

- الابتعاد قدر الإمكان عن استخدام التلفزيون كوسيلة لشغل الطفل لضمان بقائه صامتا وتفادي إزعاجه وعدم مراعاة البرامج التي يشاهدها.
- يجب عدم استخدام التلفزيون كأداة عقاب أو مكافأة، لأنه بهذا السلوك يكتسب التلفزيون مكانة هامة وقيمة كبيرة لدى الطفل فيعطي له الحيز الأكبر من انشغالاته، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا التصرف شائع في مجتمعنا خاصة لدى الأمهات.
- الحوار مع الطفل حول البرنامج الذي يفضل مشاهدته، قصد التقيد بزمن وطبيعة البرنامج الذي يجب أن يكون مفيدا له.

خاتمة:

- إنّ للتلفزيون مكانة خاصة في حياتنا المعاصرة، فقد دخل كل بيت وأصبح مشاركا في التفاعلات الأسرية بحيث لا يمر يوم إلا واستخدمناه، كما أنّ الفضائيات التلفزيونية انتشرت بكثرة وتنوعت معها البرامج المخصصة للأطفال بصفة خاصة، وأصبحت تحمل في طياتها مبادئ ثقافية في إطار العولمة الثقافية والإعلامية، مما يجعل الطفل يميل على الجلوس طويلا أمام التلفزيون " الإدمان التلفزيوني " ، الذي تنطوي عنه آثار صحية ونفسية واجتماعية وخيمة، لذلك ومن خلال هذا البحث النظري يمكننا أن نقدم بعض التوصيات لتدعيم الاستغلال الأمثل للتلفزيون في الإعداد السليم للناشئة، وذلك من خلال ما يأتي:
- ضرورة تقيد زمن مشاهدة التلفزيون لدى الطفل لتفادي وقوعه في الإدمان التلفزيوني، ويلقى هذا الأمر على عاتق الآباء.
 - ضرورة تقيد القنوات التلفزيونية بتقديم البرامج الهادفة للأطفال التي تتوافق مع حاجاتهم وميولاتهم.
 - تطوير خدمات الإرشاد الأسري لتوعية الآباء حول كيفية الاستخدام الأمثل للتلفزيون من طرف الطفل.
 - القيام بحملات إعلامية لنشر الوعي عن أخطار الإدمان التلفزيوني لدى الأطفال.
 - ضرورة تطوير برامج القنوات التلفزيونية المحلية الموجهة للأطفال حتى تستقطبهم ولا تجعلهم عرضة لبرامج الفضائيات الغربية.
 - تجنب الأطفال مشاهدة البرامج التلفزيونية العنيفة.
 - ضرورة العمل التكاملية بين النفسانيين والاجتماعيين والتربويين والإعلاميين في إعداد البرامج الجادة المخصصة للأطفال.

- العمل على تنظيم استغلال وقت الفراغ لدى الطفل بممارسة أنشطة تعود عليه بالانفع الكبير مثل النشاطات الرياضية.

- ضرورة إجراء دراسات وبحوث لتحديد الآثار السلبية للتلفزيون وكذا الآثار الإيجابية، لمعالجة السلبيات وتدعيم الإيجابيات خدمة للطفولة التي هي عدة وعماد المستقبل.

الهوامش

(1) هندي، صالح ذياب. أثر وسائل الإعلام على الطفل، عمان، الطبعة الأولى، 1990، ص 3

(2) Berry, L. Developing Children and Multicultural Attitudes: The Systemic Psychosocial Influences of Television Portrayals in a Multimedia Society. Cultural Diversity & Ethnic Minority Psychology, v9 n4, 2003 , p360-66 Nov.

(3) الدويك، محمد طالب؛ و الفرجاني، عبد العظيم. الإذاعة والتلفزيون والطفل. مجلة التربية، العدد 57 ، قطر، 1986، ص 62.

(4) فرج، محمد سعيد فرج. الطفولة والثقافة والمجتمع، منشأة المعارف، الإسكندرية (مصر)، 1993، ص 128 .

(5) عباس محمود عوض، المدخل إلى علم النفس النمو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 52 .

(6) عيسوي، عبد الرحمان. مشكلات الطفولة والمراهقة، دار العلوم العربية، بيروت (لبنان)، 1993 ، ص 16

(7) عباس محمود عوض، مرجع سبق ذكره، ص 7 .

(8) تشتي، فاطمة عبد الصمد. أثر مشاهدة البرامج الفضائية على المهارات الاجتماعية لدى عينة من الأطفال بدولة الكويت، مجلة رسالة الخليج، العدد 133.

(9) الأصفر، محمد علي. أطفالنا والخيالة المرئية. مجلة البحوث الإعلامية، العدد 7. 1993، ص 212.

(10) شراب، محمد. الإذاعة المرئية وأهميتها في حياة المجتمع. المجلة الإعلامية، العدد 3. طرابلس ، 1996، ص 111.



(11) الربيعي، محمد كحظ عبيد. الدور الثقافي للقنوات الفضائية العربية، رسالة ماجستير، قسم الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك، 2007، ص 70. عن فؤاد إبراهيم، ثقافة الصورة..التحدي والاستجابة، وعي الصورة.. صورة الوعي، بحث مقدم إلى جامعة فيلادلفيا، الأردن- عمان، 2007م، ص 22.

(12) جومانة شومان، مجلة العربي، العدد 428، 1994.

(13) وين ماري، الأطفال والإدمان التلفزيوني، ترجمة عبد الفتاح صبحي سلسلة المعرفة، العدد 247، ص 36.

الموقع الالكتروني: http://www.zadtrain.com/view_arts.php?id_42

(14) نفس المرجع السابق، ص 36 .

(15) نشرة البنون، المجلس الأعلى للأمموة والطفولة، العدد الخامس، سبتمبر 2007، الجمهورية اليمنية، ص 6

(16) نشرة البنون، المجلس الأعلى للأمموة والطفولة، العدد الخامس، سبتمبر 2007، الجمهورية اليمنية، ص 6 .

(17) نفس المرجع السابق، ص 7 .

(18) Bandura, A, The Role of Modeling Processes in Personality Development in : Smadowsky, ALM. "New York, the free press, 1973 , P .160 P –167.

(19) Bandura, A. Social learning theory, N. Y. Prentice Hall., 1977, P 17.

(20) Deborah, W. Mass Media Viewing Habits and Toleration of Real life Aggression. Ph.D. IRIC, (Tulane University, 1989.

(21) عبد الفتاح مراد، كيف تستخدم شبكة الانترنت في البحث العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 12.

(22) Edwin Young. Social Psychology with A special Reference to Mass Media, London, 1971 , P–109.

(23) Grimes, T. & Bergen, L. & Nichols, K. & Vernberg, E. & Fonagy, P. Is Psychopathology the Key to Understanding Why Some Children Become Aggressive When They Are Exposed to Violent Television Programming? Human Communication Research, v30 n2, 2004,



p153-181 Apr.

(24) إبراهيم، إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1985، ص 128 -

.131

(25) البكري ، أيد شاعر اسماعيل ، البث الفضائي المباشر - قع المحطات الفضائية الدولية الواصلة إلى الوطن العربي واحتمالات تأثيرها، رسالة ماجستير ، قسم الاعلام - كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1994 ، ص 95.

(26) الدباس ، الدكتور صالح بن مبارك، البث الفضائي وآثاره الاجتماعية والتربوية، أراء عينة من طلاب وطالبات كلية التربية في جامعة الملك سعود ، 2004.

